وصايا لقمان وأثر ارتباطها بالسياقات القرآنية

د/ سلطان بن فهد بن علي الصطامي
أستاذ مساعد بقسم التفسير وعلوم القرآن-كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
جامعة القصيم-المملكة العربية السعودية

وصايا لقمان وأثر ارتباطها بالسياقات القرآنية

سلطان بن فهد بن علي الصطامي

قسم التفسير وعلوم القرآن-كلية الشريعة والدراسات الإسلامية جامعة القصيم-المملكة العربية السعودية

البريد الإلكتروني : fahoody143788@gmail.com

الملخص :

يسلط هذا البحث الضوء على أثر وصايا لقمان التي ذكرها الله في كتابه، محاولاً الكشف عن أبعاد هذه الوصايا داخل الآيات القرآنية وبيان امتداداتها المتعددة سواء على جهة اللزوم أو التضمن في سياقات قرآنية أخرى، ولا شك أن لمثل هذه الوصايا أبعاداً في سياقات الآيات القرآنية جاءت متضمنة لعدد من الموضوعات القرآنية المختلفة في سياقات شتى. وسعياً لتحقيق الهدف العام للبحث فقد ركزتُ على ملامح وصايا لقمان ومؤشراتها، وخصائص وصايا لقمان في القرآن، ومدى ارتباطها بالسياق القرآن، متتبعاً سياق كل وصية في مظانها من كتاب الله، مع الاقتصار على أهم القضايا والموضوعات التي تخدم فكرة البحث وذكر خلاصة كل وصية.

الكلمات المفتاحية: وصايا لقمان-السياق القرآني-مفهوم الوصايا - خصائص الوصايا.

Luqman's commandments and the impact of their connection to Quranic contexts

Sultan bin Fahd bin Ali Al-Sattami Assistant Professor, Department of Interpretation and Quranic Sciences - College of Sharia and Islamic Studies
Qassim University - Kingdom of Saudi Arabia
Email : fahoody143788@gmail.com

Abstract:

This research sheds light on the effect of Luqman's commandments that God mentioned in his book, trying to uncover the dimensions of these commandments within the Qur'anic verses and showing their multiple extensions, whether on the one hand of necessity or inclusion in other Qur'anic contexts. There is no doubt that such commandments have dimensions in the contexts of the Qur'anic verses that included a number of different Quranic topics in various contexts. In pursuit of the general objective of the research, I focused on the features and indications of Luqman's Wills, and the characteristics of Luqman's Wills in the Qur'an, and the extent of their relevance to the context of the Qur'an, following the context of each commandment in its context from the Book of God, with only the most important issues and topics that serve the idea of research and mentioning the summary of each commandment.

Keywords: The Wills Of Luqman - The Qur'an Context - The Concept Of The Wills - Characteristics Of The Wills.

المقدمـــة:

الحمد الله الذي خلق الإنسان وعلمه البيان وأنزل على عبده القـــرآن العظيم حجة ومحجة للأنس والجان، **أما بعد.**

فالحديث عن القرآن مازال في أطوار من التوالد والتكاثر في المعاني التي جلس أهل التخصص ينهلون من معينه بلا كدٍ ولا مللٍ.

فالقرآن هو الوصية والآية النبوية والرسالة الخالدة إلى قيام الســـاعة للخلق أجمعين، فالقرآن بجميع ما يحتويه من الحروف والكلمات والآيات هي وصايا للأنام كافة وللمتقين خاصة بمفهومها العام.

لذا هناك عددٌ من الوصايا الخاصة التي جاءت متوالية في عدد مـــن الآيات والسور كالوصايا العشر التي جاءت في خاتمـــة ســـورة الأنعـــام، والوصايا التي افتتحت بها سورة (المؤمنون)، ووصايا لقمان الحكـــيم التـــي جاءت متضمنة لسورة رفعت اسمه وذكره، وهي سورة(لقمان).

ولا شك أن لمثل هذه الوصايا أبعاداً في سياقات الآيـــات القرآنيـــة جاءت متضمنة لعدد من الموضوعات القرآنية المختلفة في سياقات شتى.

وتأسيساً على ما سبق فقد عقدت النية على بحث هذا الموضوع، وأن ألقي الضوء على وصايا لقمان وما تضمنته تلك الوصايا مـــن أثـــر داخـــل السياقات والموضوعات القرآنية، فجاء عنوان البحث: "وصايا لقمان وأثرها في السياقات القرآنية ".

ونسأل الله العون والسداد على إخراجه بصورة تليق بكتاب الله جمالاً وكمالاً وبهاءً، وأن يكشف البحث عن عمق هذه الوصايا التي لها مـــن قـــيم وأهمية ما لها، فهي كالكلمة الطيب أصلها ثابت وفرعها في السماء تـــؤتي أكلها كل حين بإذن خالقها.

أسباب اختيار الموضوع:

أولاً: تعلق الموضوع بالقرآن الكرام، كتاب الله المكنون، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

ثانياً: حاجتنا في عالمنا المعاصر للتربية والأخلاق، وتقويم السلوك الذي ترشدنا إليه الوصايا اللقمانية.

ثالثاً: إظهار مدى مناسبة القرآن لكل زمان ومكان، فالبحث يعدُّ رداً على من يشكك في ذلك.

أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث في النقاط الآتية:

أولاً: العناية بالسياقات القرآنية التي تجتمع تحت موضوع محدد.

ثانياً: بيان التداخل بين الآيات القرآنية في تناول الوصايا القرآنية.

ثالثاً: إعانة القارئ في فتح بوابة جديدة من الجمع بين المعاني القرآنية.

رابعاً: المساهمة في توظيف الوصايا القرآنية في عدد من الموضوعات القرآنية.

الدراسات السابقة:

لم تُعْن دراسة – على حد اطلاعي بموضوع هذا البحث، غير أن هناك دراسات لامست جوانب مختلفة من الموضوع، وقد اطلعت منها على الدراسات الآتية:

١ــ في مواجهة تحديات العولمة: استراتيجية تربوية جديدة أم تأصيل وإعادة صياغة "المضامين التربوية لوصايا لقمان نموذجًا": د. نوف بنت ناصر التميمي، ورقة عمل قُدمت لمؤتمر التربية الإسلامية وبناء المسلم المعاصر، نظمه معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى، في الفترة (٢٢-٢٤/محرم/١٤٢٧هـ) الموافق:(٢١-٢٣/ فبراير/٢٠٠٦م)

٢ــ فقه دعوة الأبناء في ضوء وصايا لقمان، الدكتورة/ الجوهرة بنت صالح بن حمود الطريفي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية الدعوة والإعلام، قسم الدعوة والاحتساب، تناولت الباحثة التعريف بسورة لقمان، ومواضيع دعوة الأبناء في ضوء سورة لقمان، وسمات

الآباء المربين في ضوء سورة لقمان، وأساليب دعوة الأبناء.

٣ــ وصايا القرآن الكريم مضامينها وأهدافها. دراسة في التفسير الموضوعي، للباحثة/ صورية العيادي، مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير، تخصص(كتاب وسنة)، الجزائر، جامعة الحاج لخضر باتنة، كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية، قسم أصول الدين، ١٤٢٩-٢٠٠٨م، تناولت الباحثة مفهوم الوصية وقيمتها ومضامينها، وحددت المضامين في أربعة مجالات: العقدي والأخلاق والاجتماعي والعبادات، وأشارت الباحثة إلى أهداف وصايا القرآن الكريم دون التركيز على سورة لقمان.

٤ــ الحكمة وأهميتها في تربية الشباب، دراسة موضوعية في ضوء الوصايا اللقمانية، الدكتورة/ إيمان شحته حسن محمد، بحث منشور بمجلة كلية أصول الدين والدعوة الإسلامية بالمنوفية، جامعة الأزهر، العدد(٣٨)، للعام ١٤٤٠ه -٢٠١٩م، تناولت الباحثة موضوعها دراسة موضوعية في ضوء الوصايا العشر، وسلطت الضوء على تجليات الحكمة في وصايا لقمان.

٥ــ القيم التربوية في وصايا لقمان الحكيم، ودورها في تربية الفرد والمجتمع، للدكتورة/ إسراء إبراهيم كامل عبد الرحمن، بحث منشور بحوليات آداب عين شمس، المجلد(٤٨)، عدد إبريل- يونية ٢٠٢٠م.

هدف البحث إلى تعريف القيم التربوية المستمدة من وصايا لقمان الحكيم لابنه في محاولة لتذكير الدعاة والمربين والآباء بما تتضمنه تلك القيم من أساليب تربوية مهمة.

إن كل هذه الدراسات السابقة تختلف في تناولها وتحليلها وعرضها عن موضوع بحثي، وهذا هو الدافع لتناول الموضوع من زاوية مختلفة، وإكمالاً لجهود الباحثين السابقين.

منهج البحث:

اتبعت في البحث المنهج الاستقرائي التحليلي، وذلك بجمع واستقراء وتحليل أقوال المفسرين رحمهم الله تعالى وأدلتهم بالرجوع إلى المصادر الأصيلة، ثم اتبعت الخطوات التالية:

١ــ الرجوع إلى المصادر الأصيلة وتوثيقها.

٢ــ تخريج الأحاديث والاعتماد على الصحيح دون غيره.

خطة البحث:

جاءت خطة البحث في مقدمة، وفصلين، تفصيلها على النحو الآتي:

المقدمة: وفيها أسباب اختيار الموضوع، وأهمية البحث، والدراسات السابقة، والمنهج المتبع، وخطة البحث.

الفصل الأول: الوصايا اللقمانية مفهومها، وملامحها، وخصائصها في القرآن، ويشتمل على مبحثين.

المبحث الأول: مفهوم الوصايا.

المبحث الثاني: ملامح الوصايا اللقمانية ومؤشراتها.

المبحث الثالث: خصائص وصايا لقمان في القرآن.

الفصل الثاني: وصايا لقمان وارتباطها بالسياقات القرآنية، دراسة تطبيقية، ويشتمل على:

الوصية الأولى: قوله تعالى: (وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ) [لقمان:١٣].

الوصية الثانية: قوله تعالى: (وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ (١٤) وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) [لقمان:١٤-١٥].

الوصية الثالثة: قوله تعالى: (يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّـهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ) [لقمان:١٦].

الوصية الرابعة: قوله تعالى: (يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ) [لقمان:١٧].

الوصية الخامسة: قوله تعالى: (وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ) [لقمان:١٧].

الوصية السادسة: قوله تعالى: (وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ) [لقمان:١٨].

الوصية السابعة: قوله تعالى: (وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ) [لقمان:١٩]

الخاتمة: وفيها: أهم النتائج، وقائمة المصادر.

الفصل الأول: الوصايا اللقمانية مفهومها، وملامحها، وخصائصها في القرآن، ويشتمل على مبحثين.

المبحث الأول: مفهوم الوصايا.
المبحث الثاني: ملامح الوصايا اللقمانية ومؤشراتها.
المبحث الثالث: خصائص وصايا لقمان في القرآن.

المبحث الأول: مفهوم الوصايا.

أولاً: الوصية لغةً:

تأتي الوصية لمعانً متعددة منها:

أ- الوصية بمعنى الوصل والاتصال: يقول ابن فارس في تعريف الوصية لغة :" (وَصَى) الْوَاوُ وَالصَّادُ وَالْحَرْفُ الْمُعْتَلُّ: أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى وَصْلِ شَيْءٍ بِشَيْءٍ. وَوَصَيْتُ الشَّيْءَ: وَصَلْتُهُ. وَيُقَالُ: وَطِئْنَا أَرْضًا وَاصِيَةً، أَيْ إِنَّ نَبْتَهَا مُتَّصِلٌ قَدِ امْتَلَأَتْ مِنْهُ. وَوَصَيْتُ اللَّيْلَةَ بِالْيَوْمِ: وَصَلْتُهَا، وَذَلِكَ فِي عَمَلٍ تَعْمَلُهُ. وَالْوَصِيَّةُ مِنْ هَذَا الْقِيَاسِ، كَأَنَّهُ كَلَامٌ يُوصَى أَيْ يُوصَلُ، يُقَالُ: وَصَّيْتُهُ تَوْصِيَةً، وَأَوْصَيْتُهُ إِيصَاءً"[1].

ب- الوصية بمعنى العهد: يقول الزبيدي:" وأوصاه إيصاء، (ووصّاه) توصية، إذا عهد إليه[2]، وَفِي الصِّحاح: {أَوْصَيْتُ لَهُ بشيءٍ} وأَوْصَيْتُ إِلَيْهِ إِذا جعلْتَه {وَصِيَّكَ؛} وأَوْصَيْتُه {ووَصَّيْتُه} تَوْصِيَةً بمعْنًى "[3]

ج- الوصية بمعنى الفرض: قال ابن سيده: قولُه تعالى {يوصيكم الله في أولادكم} النساء ١١ معناه يَفْرِضُ عليكُم لأن الوصيَّةَ من الله إنما هي فَرْضٌ، والدليلُ على ذلك قولُه تعالى: {ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ذلكم وصاكم به} (الأنعام ١٥١)، وتَوَاصَوْا أَوْصَى بعضُهم بعضاً وقوله عزَّ وجلَّ: {أتواصوا به} (الذاريات ٥٣)، أي أَوْصى به أَوّلُهُم آخِرَهُمْ والأَلِفُ للتَّوبِيخِ وَوَصى الرَّجُلَ وصْياً وصَلَه ووَصَى الشيءَ بغيرِه وَصْياً وصَلَهُ وَوَصَتِ الأرضُ وَصْياً وَوُصِيّا ووَصَاءً ووصَاةً الأخيرةُ نادِرةٌ حكاهُما أبو حنيفةَ كل ذلك اتَّصَل نَباتُها قال أبو

(١) مقاييس اللغة (٦/ ١١٦).
(٢) تاج العروس، (٤٠ /٢٠٨).
(٣) الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، (٦/٢٥٢٥).

عليٍّ ومعنى هذا الباب الاتّصال لأنّ العَهْدَ يَصِلُ من المُوصِي إلى المُوصَى إليه "[١].

ومن خلال النظر في معاجم اللغة بالمعاني السابقة، فإن تأتي الوصية في اللغة بمعنى: الوصل والاتصال والعهد والفرض.

ويمكن تعريف الوصية: بأنها كلام يوصل بين الموصي والموصى له، فلابد من وجود وصي وموصى له[٢] .

ثانياً: الوصية اصطلاحاً:

ذكر المفسرون والعلماء مجموعة من التعريفات للوصية، وذلك على النحو الآتي:

أولاً: تعريف الراغب الأصفهاني: يقول في تعريف الوصية:" بأنها التقدم إلى الغير ما يعمل به مقترناً بوعظ"[٣].

ثانياً: تعريف الألوسي: " التوصية: التقدم إلى الغير بفعل فيه صلاح وقربة سواء كان حالة الاحتضار أو لا، وسواء كان ذلك التقدم بالقول أو الدلالة"[٤].

ثالثاً: تعريف ابن عاشور: بقوله:" الإيصاء: الأمر بشيء يفعل في غيبة الأمر فيؤكد على الأمور بفعله؛ لأن شأن الغائب التأكيد، وأطلق الإيصاء على ما أمر الله به؛ لأن الناس لم يشاهدوا حين فعلهم ما يأمرهم به، فكان أمر الله مؤكداً فعبر عنه بالإيصاء تنبيها لهم على الاحتراز من التفويت في أوامر الله، ولذلك أطلق على أمر الله الإيصاء في مواضع كثيرة من القرآن كقوله:(يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ) [٥].

---

(١) المحكم والمحيط الأعظم (٣٩٥/٨).
(٢) وصايا القرآن الكريم ومضامينها وأهدافها – ص ١٢.
(٣) المفردات، ص٨٧٣.
(٤) روح المعاني (٣٨٩/١).
(٥) المنار (٣٣٠/٤).

من خلال التعريفات السابقة للوصية يمكن استنتاج ما يلي [١]:

١-الوصية تكون في الزمن المستقبل.

٢-الوصية تكون بفعل فيه صلاح وقربة، ولا تكون بفعل فيه فساد ومضرة.

٣-وسيلتها في القول أو الدلالة كما في قوله ﷺ:« أَلاَ تَسْمَعُونَ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُعَذِّبُ بِدَمْعِ العَيْنِ، وَلاَ بِحُزْنِ القَلْبِ، وَلَكِنْ يُعَذِّبُ بِهَذَا - وَأَشَارَ إِلَى لِسَانِهِ - أَوْ يَرْحَمُ، وَإِنَّ المَيِّتَ يُعَذَّبُ بِبُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ»[٢].

٤- ظروفها: تكون في حالة الاحتضار، وقد تكون في غيرها من الحالات (كالإقدام على مشروع ما) قال تعالى في وصية يعقوب لبنيه : {أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ۖ } [البقرة:١٣٣] يقول السعدي:" فقال لبنيه على وجه الاختبار، ولتقر عينه في حياته بامتثالهم ما وصاهم به: {مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي}؟ فأجابوه بما قرت به عينه"[٣].

٥- تنفيد في غيبة الموصي.

٦- قد تكون لفعل شيء أو تركه.

٧- مقياس الفعل والترك فيها هو المنفعة سواء للموصي أو الموصى له.

٨- لا يسعى التفويت في وصايا الله سبحانه وتعالى، بل الاحتراز من ذلك.

٩- الوصية الشائعة في العرف هي: الأمر بشيء يسلح بالقول المحسوس حالة الاحتضار.

فعلم بذلك أن هذه جملة من اللوازم التي تتضمنها تشتمل عليها الوصية.

---

(١) وصايا القرآن الكريم ومضامينها و أهدافها – ص ١٤.بتصرف .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٢/ ٨٤)، باب البكاء عند المريض، رقم الحديث(١٣٠٤)، ومسلم (٢/ ٦٣٦)باب البكاء على الميت، رقم الحديث(٩٢٤) .

(٣) تيسير الكريم الرحمن (٦٦/١).

المبحث الثاني: ملامح الوصايا اللقمانية ومؤشراتها.

العاقل والمتأمل يزداد فكره ونظره في اصطفاء الله-سبحانه وتعالى- وكيف أنه يختار من عباده من يشاء الحديث عنهم ؟!، فما يدري لقمان الحكيم[١] أن هذا القرآن المجيد سوف ينزل آيات تتلى في خبره على خير الأمم !

فهو رجل ليس نبياً، ولا ملكاً من ملوك الأرض، ولا هو من عظماء الأقوام أو القبائل أو الأسباط تدون حكمته في قرآن حفيظ ! رجل تحفظ حكمته وتتناقل بين سائر الحكماء الذين دونت الحضارات عباراتهم وأقوالهم! [٢].

ولاشك أن لقمان الحكيم دونت جملة من حكمة وتناقلها المفسرون كالقرطبي[٣] والألوسي[٤] وغيرهم ، يقول ابن عاشور:" فقد استقصينا ما وجدنا من حكمة لقمان مما يقارب سبعين حكمة"[٥].

---

(١) تتمه: فلم يكن لُقْمَان نَبيا فِي قَول أَكثر النَّاس وَعَن سعيد بن الْمسيب: أَن لُقْمَان النبى كَانَ خياطاً"، انظر: عماد البلاغة (ص: ٦٣). ويذكر أنه:"كان يجلس إلى داود صلى الله عليه وسلم مقتبساً، وكان عبداً أسود، فوجده وهو يعمل درعاً من حديد، فعجب منه، ولم ير درعاً قبل ذلك، فلم يسأله لقمان عما يعمل، ولم يخبره داود، حتى تمت الدرع بعد سنة، فقاسها داود على نفسه، وقال: زرد طافاً ليوم قرافاً. تفسيره: درع حصينة ليوم قتال؛ فقال لقمان: الصمت حكم وقليل فاعله". انظر: العقد الفريد (٢/ ٣٠٢).

(٢)اهتمَّ المستشرقون بالأمثال، فمن دراساتهم: دراسات حول أمثال لقمان: أمثال لقمان لجالان الفرنسي ١٧٠٤م-١٧٠٨م، ترجمة أمثال لقمان لجان جاك دي برسفال الفرنسي ١٨١٨م، ترجمة أمثال لقمان لشربونو الفرنسي ١٨٤٧م. انظر: الأدب الجاهلي في آثار الدارسين قديماً وحديثاً (ص: ٤٠).

(٣) الجامع لأحكام القرآن الأعظم (١٤/ ٦٠).

(٤) روح المعاني (١١/ ٨٣).

(٥) التحرير والتنوير (٢١/ ١٧٣).

أما ملامح الوصايا اللقمانية فيمكن عرضها في النقاط التالية:

أولاً: العناية بدقة الوصف بين المعنى المعنوي والمحسوس مع حسن تركيب المعنى حولها.

مثال ذلك قول لقمان لابنه: أي بني، إن الدنيا بحر عميق، وقد غرق فيها أناس كثير فاجعل سفينتك فيها تقوى الله تعالى، وحشوها الإيمان، وشراعها التوكل على الله تعالى لعلك أن تنجو ولا أراك ناجياً [١].

ثانياً: دقة التشبيه بين المحسوس والمحسوس.

مثال ذلك قول لقمان: ضرب الوالد لولده كالسماد للزرع[٢].

ثالثاً: التوازن في الحكمة بين الخوف والرجاء.

مثال ذلك قول لقمان: يا بني ارج الله عز وجل رجاء لا يجرئك على معصيته تعالى، وخف الله سبحانه خوفاً لا يؤيسك من رحمته تعالى شأنه[٣].

رابعاً: العناية بالموازنة بين ما يصلح النفس وما يفسدها.

مثال ذلك قول لقمان: يا بني، احضر الجنائز ولا تحضر العرس، فإن الجنائز تذكرك الآخرة والعرس يشهيك الدنيا[٤].

خامساً: العزم على تناول الأمور بجد وحزم.

مثال ذلك قول لقمان: يا بني إذا جاء وقت الصلاة فلا تؤخرها لشيء، صلها واسترح منها فإنها دين، وصل في جماعة ولو على رأس زج، وإذا أردتم النزول فعليكم من بقاع الأرض بأحسنها لوناً وألينها تربة وأكثرها عشباً، وإذا نزلت فصل ركعتين قبل أن تجلس، وإذا أردت قضاء حاجتك فأبعد المذهب في الأرض[٥].

---

(١) روح المعاني (١١/ ٨٣).
(٢) ربيع الأبرار ونصوص الأخيار (١/ ٤١١).
(٣) الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٦/ ٥١٣)، و(٦/٥٢٠).
(٤) روح المعاني (١١/ ٨٣).
(٥) المرجع السابق، (٢١/٩٨).

سادساً: العناية بالتقابل بين المعاني التي تظهر موضع التوسط في الأمور.

مثال ذلك قول لقمان: يا بني، لا تكن حلواً فتبلع، ولا تكن مراً فتلفظ(١).

سابعاً: العناية بالتوسط والاعتدال في تناول الأمور.

مثال ذلك قول لقمان: يا بني، أنزل نفسك من صاحبك منزلة من لا حاجة له بك ولا بد لك منه(٢).

ثامناً: العناية بميزان الحذر قبل الزلل.

مثال ذلك قول لقمان: يَا بني امْتنع مِمَّا يخرج من فِيك فَإِنَّك مَا سكت سَالم وَإِنَّمَا يَنْبَغِي لَك من القَوْل مَا ينفعك (٣).

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٦/ ٥١٥).
(٢) روح المعاني (١١/ ٨٨).
(٣) الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٦/ ٥١٩).

المبحث الثالث: خصائص وصايا لقمان في القرآن.

تشتمل وصايا لقمان القرآنية على عدد من الجوانب المهمة والتي تميزها عن غيرها، وكفى بذكرها في القرآن شرفاً ودليلاً ومرشداً لأهميتها، ويمكن الوقوف عليها من خلال الخصائص التالية:

أولاً: الشمولية.

الناظر في تسلسل الوصايا اللقمانية يجد أنها بدأت من منطلق العقيدة ثم انتقلت بعدها إلى العبادة ثم ختمت بالأخلاق، وهذا التسلسل المنطقي والاستقرائي الصحيح لحلقات منهج الدين الحنيف الذي يقوم على أصول الدين من عقيدة القلب، ثم يقرر مسائل العبادات السلوكية والتي من أظهرها الصلاة ثم يعالج مسائل الأخلاق والقيم الدينية، وهذا أيضاً هو المنظار الصحيح في تدرج العبد بين منازل السائرين، فالعباد قد يتوافقون ويتفاوتون على مسائل العقيدة من نبذ الشرك ومسالكه، وقد يتوافقون ويتفاوتون في أصول الشرائع من العبادات الظاهرة من الصلاة ونحوها من الصيام والحج وغيرهما، ويظهر سلم التفاوت في الدرجة الأخيرة من الخلق وتهذيب النفس على محاسن الأقوال والأعمال لأنه لا منتهى لتلك الأخلاق.

والشمولية في هذه الوصايا تتداخل مع مقاصد الشريعة التي جاءت بحفظ الضروريات الخمس من حفظ الدين والنفس والعقل والعرض والمال، فالشرك بوابة لهدم مقصد الدين، والبر بالوالدين مقصد لحفظ الوالدين من الهلاك وسبب لحفظ النفس من مخاطر الحياة، ومعرفة دلائل علم الله وقدرته سبيل لحفظ العقل من مزالق الإلحاد والتفكير في رذائل الأمور، ومداومة الصلاة بخشوها وتوابعها تحفظ العبد عن مقارفة الفواحش الظاهرة والباطنة، وحفظ العبد لسلوكه في تعامله مع الناس تحفظ له معايشة ومكاسبه في محيطه مما يجعله قريب التحصل على ما يتكسبه من تجارة أو عمارة في الأرض.

إن الشمولية في الوصايا جاءت لتشمل حياة المسلم مع نفسه وفي داخل بيته مع والديه ومع مجتمعه وذلك بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهذه الشعيرة أعظم مشاركة يقدمها المسلم لأمته من خلال الرصد لمجريات الحياة الثابتة والمتغيرة ليحافظ على هذا التوازن من خلال دعم المعروف بتعلمه وتعليمه والدعوة إليه، ومن خلال رصد حالات المنكر التي تتسلل إلى المجتمع المسلم وتعلم مخاطرها وتحذير الناس منها.

يقول الرازي:" أن لقمان أراد إرشاد ابنه إلى السداد في الأوصاف الإنسانية والأوصاف التي هي للملك الذي هو أعلى مرتبة منه، والأوصاف التي للحيوان الذي هو أدنى مرتبة منه"(١).

ثانياً: الثبات.

الوصايا القرآنية بعمومها ووصايا لقمان على وجه الخصوص هي من الوصايا الثابتة في أحكامها؛ لأنها متعلقة إما بقضايا عقدية راسخة كقضية التوحيد والشرك، وإما أنها متعلقة بقضايا أخلاقية وهذه قضايا متوطئة بين الأمم والأجيال، فلا تقبل النسخ أو المزاودة عليها؛ لأن الشريعة جاءت بمحاسن الأخلاق وأشرفها.

ثالثاً: التعددية في العلاقات.

الوصايا اللقمانية تتعرض لعدد من العلاقات التي لا يمكن للعبد أن ينفك عنها بحال وهي ثلاث علاقات: **فالأولى:** العلاقة مع الله والتي تضمنت الدعوة إلى نبذ الشرك وملازمة التوحيد.

الثانية: العلاقة من النفس والتي تضمنت إقامة الصلاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وضبط للسلوك أثناء الحركة والصوت.

(١) تفسير الرازي (٢٥/ ١٢٣).

الثالثة: العلاقة مع الناس، والتي تضمنت العلاقة مع الوالدين وهي أشرف علاقة في حياة العبد، والعلاقة مع بقية الناس وذلك بالصبر على الأذى، وعدم التكبير.

رابعاً: القرابة من المتلقي.

إن قرب الناصح من المنصوح والمرشد من المسترشد له أثره البالغ في تقبل النصح خصوصاً إذا كان الناصح ذا علو في العلم والعمل، يقول الرازي:" وهذا لأن علو مرتبة الإنسان بأن يكون كاملاً في نفسه ومكملاً لغيره فقوله: "أَنِ اشْكُرْ إشارة إلى الكمال وقوله وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ إشارة إلى التكميل" [1]، وسواء كان هذا الناصح قريب نسب أم قريب روح، فلكل واحد منهما أثره البالغ في ذلك، وإن لم تتحقق الاستجابة المطلوبة، قال ربنا في حق نبي الله نوح عليه السلام مع ابنه : (وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ) [هود:٤٢].

ويدخل في القرب مراعاة سن المتلقي، وأنه كلما كان التوجيه والتعليم في أوائل العمر وأثناء بداية الحياة يكون ثباتها أعمق وأوثق مما لو كان بعد الكبر أو بعد وقوع المحذور من المتلقي، فالدعوة حال خلو الذهن من المصارف يكون أمكن منها وقت الشغل أو التضارب في الأفكار والدعوات.

خامساً: الحكمة وأثرها.

يقول الشوكاني:" والحكمة التي أتاه الله هي الفقه والعقل والإصابة في القول"[2]، فالحكمة التي تتضمنها تلك الوصايا تتلائم مع حال المتلقي بحسب الحال والمكان والزمان، والحكمة في القول تتقبلها النفوس بالتسليم التام لما فيها من التوافق مع قدرات العبد العقلية والسلوكية. والحكمة لا تنبع إلا من ذوي الفهم والتصور الصحيح لقضايا الدين ومجريات الحياة.

---

(١) المرجع السابق، (١٢٨/٢٥).

(٢) فتح القدير (٢٣٧/٤).

يقول السعدي تأكيداً لذلك:" فذكر أصول الحكمة وقواعدها الكبار"[١]، فالوصايا هي حكم تحمل في طياتها الإصابة في القول والعمل والسداد في الرأي، والمسلك والحكمة هي ثمرة الفهم الثاقب لواقع النفس بما يتناسب معها بلا غلو أو تفريط.

سادساً: العمق في هذه الوصايا.

لا تعجب أن يكون لكل ظاهر باطن ولكل إشارة أمارة ولكل تصرف مكنونه الداخلي، وهذا المعنى يظهر من خلال التأمل السريع في تلك الوصايا اللقمانية، فالشرك لا يدفع إلا بتعميق المعرفة والإدراك لحقائق التوحيد بأنواعه الثلاثة، فالضد يعرف بالضد، والبر بالوالدين بوابة شاملة لتصور قيمة هذا العمل الشريف والسعي لمعرفة النصوص والوقائع التي تحفر العبد إلى سلوك هذا الباب، ومعرفة علم الله بحقائق الأشياء بالكون يجلى للعبد حقيقة القضاء والقدر والتسليم الأمر لله تعالى، والسعي إلى سلوك أفضل الطرق والأسباب الشرعية الصحيحة لتناول مقتضات الحياة، وإقام الصلاة عبادة ترتيب سلوك العبد منذ الصغر حينما يؤمر بالصلاة لسبع سنين ويضرب عليها لعشر، فتكون المداومة عليها هو سير على ذلك الغراس الإيماني، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لها مردود عكسي، وذلك من خلال تعزز النفس بمسلمات المعروف، وكذلك تعزز النفس بالبعد عن مواطن المنكر وأسبابها، وكلما هذب العبد أخلاقه من داخلها وعرف حقيقة نفسه وعالج نزواتها وشهواتها كلما صلح سلوكه وتعامله وظهر ذلك عليه في أفعاله وأقواله .

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص: ٦٤٨).

سابعاً: ربط الوصية بأسبابها:

إن من جمال الواقعية التي تتمثل في هذه الوصايا اللقمانية أنها تتكيف مع السبب الذي قد يؤثر فيها سلباً أو إيجاباً، فمن ذلك لما أوصى بطاعة الوالدين ذكر السبب الذي قد يخدش هذه العلاقة من كفر للوالدين، وهذا يتطلب الفصل بين سبب الكفر وبين سبب الولادة، فالوالدن لا يطاعان في الكفر وإنما طاعتهما للولادة، وكذلك لما أوصى بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ذكر السبب المانع من امثتاله وهو الأذى، ولما أوصى بغض الصوت قرن ذلك بصوت الحمار حتى يكون سبباً دافعاً للبعد عن ذلك وتصور شناعته، فجاءت الوصية بالصبر على ذلك وهو جزء لا ينفك حال الأمر أو النهي وهذا من كمالات هذه الوصية التي تجمع بين الدواء وسبب فاعليته .

وبعد فهذه لمحة تبين لنا مقدار حجم هذه الوصايا في حياة المسلم والتي جمعت بين الشمولية والثبات وتعدد العلاقات والقرب من حال المتلقي والحكمة والعمق.

الفصل الثاني:

وصايا لقمان وارتباطها بالسياقات القرآنية، دراسة تطبيقية.

مدخل:

الحديث عن وصايا لقمان يتطلب الفصل بينها بعناوين تكون منطلقاً لترتيب الآيات حسب تنزيلها وحسب موضوعاتها المتعددة، والتعدد للوصايا من الوسائل التعليمية القرآنية والأساليب النبوية التي تعين القارئ على حصر المعلوم وضبط مسالكه، فجعلتها في سبعة وصايا:

الوصية الأولى: قوله تعالى: (وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ) [لقمان:١٣].

وهذه الوصية هي أساس الدخول في الدين الإسلامي الحنيف، ولا يتحقق الإيمان بالله تعالى إلا بالبراءة التامة من الشرك ووسائله ومقدماته، فهذه الوصية هي بوابة الأعمال كلها، فإن صحت صح ما بعدها، وإن فسدت فما دونها لا أثر له في الآخرة، ويمكن إجمال حيثيات هذه الوصية تحت عدة سياقات قرآنية منها(١):

١ــ أن مادة (شرك) وردت في أكثر من ثمانين ومائة موضع من القرآن، وهذا يدلل على حجم وخطورة الشرك في الإسلام، وهو الضد المنفي لأصل الدين، فإن من دخل فيه فقد خرج من الإسلام، قال تعالى: (وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ) [المائدة:٧٢].

٢ــ أن المراد بهذا الشرك هو الظلم الأعظم، وهو المراد بقوله تعالى: (الَّذِينَ آَمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ) [الأنعام:٨٢] ، فعَنْ شُعْبَةَ، عَنْ سُلَيْمَانَ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عَلْقَمَةَ، عَنْ

(١) مستفاد من كتاب: منهج القرآن الكريم في محاربة الشرك.

عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ: {الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا} [الأنعام: ٨٢] إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ قَالَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّنَا لَمْ يَظْلِمْ؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {إِنَّ الشِّرْكَ} [لقمان: ١٣] (١)، وهذا النوع من الشرك قامت من أجله دعوة الرسل والرسالات وأنزلت الكتب جميعاً لمحاربته، فالآيات التي جاءت بدعوة الرسل كلها داخلة تحت مضمون هذه الوصية قال تعالى: (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ) [النحل:٣٦].

٣ــ أن للشرك درجات منها الشرك الأصغر والخفي، وأعظمها الشرك الأكبر، وهذه الوصية تدل على خطورة الشرك بأي نوع كان، يقول ابن القيم:" والشرك أنواع كثيرة، لا يحصيها إلا الله"(٢)، فاختيار لفظ الشرك أوسع في الدلالة على كثير من المخالفات العقدية.

٤ــ أن القرآن يقرر في كثير من الآيات أن الأصل هو التوحيد وأنه دين الفطرة، وأن الشرك إنما هو طارئ على الأصل، قال تعالى (وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا) [يونس:١٩]. فحديث القرآن عن الفطرة هو حديث متضمن لنبذ الشرك بأنواعه.

٥ــ القرآن في آيات كثيرة يحارب أسباب الشرك من التقليد الأعمى، والتعلق بالصالحين واتباع الهوى مما يلغي العقول عن النظر والتفكر في خلق السموات والأرض، فالآيات التي تدعو إلى البعد عن التقليد الأعمى وعن جميع مقدمات الشرك متضمنة لهذه الوصية كما في قوله تعالى: (وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ) [الزُّخرُف:٢٣]

٦ــ القرآن يتحدث عن أعظم مصادر الشرك وهو الكبر، يقول شيخ الاسلام ابن تيميه:" وكل مستكبر فهو مشرك، ولهذا كان فرعون من أعظم

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (١/ ١٥)، باب: ظلم دون ظلم ، رقم الحديث(٣٢).
(٢) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (١/ ٣٥٤).

الخلق استكباراً عن عبادة الله وكان مشركاً، قَالَ تَعَالَى:{وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ} {إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ} إِلَى قَوْلِهِ:{وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ}[١]، فالإعراض عن الحق مصدر من مصادر الإشراك بالله تعالى، وهذا المعنى يكون متضمناً لهذه الوصية.

٧ــ أن إبطال الشرك هو متضمن للدعوة إلى معرفة أسماء الله وصفاته، يقول ابن أبي العز :" ويستدل أيضا بأسمائه وصفاته على وحدانيته وعلى بطلان الشرك، كما في قوله تعالى: (هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ) [الحشر:٢٣]، وأضعاف ذلك في القرآن، وهذه الطريق قليل سالكها، لا يهتدي إليها إلا الخواص، وطريقة الجمهور الاستدلال بالآيات المشاهدة؛ لأنها أسهل تناولاً وأوسع، والله سبحانه يفضل بعض خلقه على بعض"[٢].

٨ــ أن الوصية جاءت بإعمال العقل الذي يدل على فطرة التوحيد وتفرده بالعبادة، يقول شيخ الإسلام :" فكانت الفطرة الموجبة للإسلام سابقة للتربية التي يحتجون بها، وهذا يقتضي أن نفس العقل الذي به يعرفون التوحيد، حجة في بطلان الشرك، لا يحتاج ذلك إلى رسول، فإنه جعل ما تقدم حجة عليهم بدون هذا"[٣]، فالآيات التي تدعو العقول إلى النظر ومعرفة مسالك الحق داخلة في هذه الوصية قال تعالى : (قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ) [سبأ:٤٦].

---

(١) مجموع الفتاوى، (١٠/١٩٧).

(٢) شرح الطحاوية (ص: ٩٦).

(٣) درء تعارض العقل والنقل (٨/ ٤٩١).

٩ــ أن الوصية تدعو إلى التفكر في مخلوقات الله تعالى؛ لأن هذا من الأسباب المعينة على الابتعاد عن الشرك والوقوع في شباكه، قال تعالى: (وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ. وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ) [الذاريات:٢٠-٢١].

١٠ــ أن الوصية مشتملة على الحذر من كل عبادة أو وسيلة لعبادة تبعد العبد عن ربه، فالشرك يضعف أو يقطع الصلة بين العبد وربه قال تعالى: (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ) [إبراهيم:٣٥]

١١ــ أن الشرك الوارد في الآية وغيرها من الآيات القرآنية مما يعطل حركة الحياة، ويجعل العبد متعلقاً بطلاسم وأفكار واهية تصرف أمور حياته كالطيرة والنظر في النجوم وغيرها مما يحجم من عمل العبد ويدفعه إلى التقدم والمسارعة إلى محاسن الأعمال، اقرأ قوله تعالى: (قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ أَئِنْ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ) [يس:١٩]، والمعنى:"فقالت لهم رسلهم:﴿ طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ﴾، وهو ما معهم من الشرك والشر، المقتضي لوقوع المكروه والنقمة، وارتفاع المحبوب والنعمة. ﴿ أَئِنْ ذُكِّرْتُمْ ﴾، أي: بسبب أنا ذكرناكم ما فيه صلاحكم وحظكم، قلتم لنا ما قلتم"[(١)]، وهذا من البعد والعمق الذي قدمه لقمان لابنه من خلال هذه الوصية البليغة.

١٢ــ أن الوصية بالنهي عن الشرك تطابق واقعاً ملموساً في حياة الناس، بل أصبح الشرك في آخر هذه الأمة هو أشد من شرك السابقين، يقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب في: القاعدة الرابعة:" أن مشركي زماننا أغلظ شركاً من الأولين، لأن الأولين يشركون في الرخاء ويخلصون في الشدة، ومشركو زماننا شركهم دائماً في الرخاء والشدة، والدليل قوله

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص: ٦٩٤).

تعالى: (فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ) [العنكبوت:٦٥]" [١] .

١٣ــ أن النهي عن الشرك تحمل في طياتها نسبة الفضل إلى أهله ومستحقه، فالله سبحانه هو المنعم وهو المتفرد بالإحسان، قال تعالى: (وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ) [الواقعة:٨٢]، فالآيات الدالة على شكر المنعم داخلة في مضامين هذه الوصية.

١٤ــ أن الحفاظ على هذه الوصية هو استبقاء لعنصر الحياة للنفس والمال والعرض، قال تعالى: (وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ) [التوبة:٣٦]، يقول السعدي:" قاتلوا جميع أنواع المشركين والكافرين برب العالمين، ولا تخصوا أحداً منهم بالقتال دون أحد، بل اجعلوهم كلهم لكم أعداء كما كانوا هم معكم كذلك"[٢]، فالحياة والعاقبة للمتقين دون غيرهم .

١٥ــ أن الشرك يقطع أواصر الأخوة والمحبة بين الأقرباء والأصدقاء، فكانت هذه الوصية امتداداً لسلم العلاقات الواسع مع ذوي القربي، ومن تلك الآيات التي تدل على انقطاع الصلة بين الأقارب قصة نوح عليه السلام مع ابنه الغريق قال تعالى : (وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ (٤٥) قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ) [هود:٤٥-٤٦].

١٦ــ أن التمسك بهذه الوصية يدفع البؤس والشقاء عن حياة العبد المسلم، قال تعالى: (حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ) [الحج:٣١]، ففي هذه الآية يضرب الله مثلاً للمشرك في ضلاله وهلاكه حيث يشبهه

(١) القواعد الأربع (مطبوع ضمن مؤلفات الشيخ مجمد بن عبد الوهاب، الجزء الأول) (ص: ٢٠٢).
(٢) تيسير الكريم الرحمن (ص: ٣٣٦).

بمن سقط من السماء فلقفه الطير في الهواء ومزقته قبل أن يصل إلى الأرض، أو عصفت به الريح فألقته في مكان مهلك "[1].

فعلم بعد ذلك أن الوصية بترك الشرك من أكبر المواضيع القرآنية بجميع أنواعه وطرائقه وصوره، والذي يعد هو طريق المحادة لله ورسولهﷺ، فالوصية تدعو العبد لمعرفة حقيقة المنعم الذي يستحق الشكر والمعرفة بأسمائه وصفاته، والوصية هي دعوة لتحرر العقول من أغلال التبعية والجمود عن النظر في الكون وهي امتداد لسلم الحياة المطمئنة والعلاقات الصحيحة لعباده المؤمنين .

الوصية الثانية: قوله تعالى: (وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) [لقمان:١٤-١٥].

وهذه الوصية اللقمانية حديث عن بر الوالدين اللذين هما سبب الوجود في الحياة بعد تقدير الله تعالى، وهذه الآيات جمعت أصولاً من الألفاظ التي تكشف تركيب الصورة الحقيقة لهذه الوصية: الحمل والوهن والفصال، يقول الزمخشري:" فإن قلت: فقوله: (حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ)، كيف اعترض به بين المفسر والمفسر ؟ قلت: لما وصى بالوالدين: ذكر ما تكابده الأمّ وتعانيه من المشاق والمتاعب في حمله وفصاله هذه المدّة المتطاولة، إيجاباً للتوصية بالوالدة خصوصاً، وتذكيراً بحقها العظيم مفرداً"[2]، ويقول ابن عطيه:" ويحتمل أن أشار إلى تدرج حالها في زيادة

(١) انظر :تفسير الطبري (١٤٥/٩) وابن كثير (٢٢٩/٣).
(٢) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٣/ ٥٠١).

الضعف، فكأنه لم يعين ضعفين، بل كأنه قال حملته أمه والضعف يتزيد بعد الضعف إلى أن ينقضي أمره"(١).

وقد أخذت الوصية مضامينها في سياقات قرآنية متعددة من خلال عدة جوانب، نذكر منها:

١ــ حديث القرآن عن البر بالوالدين وتعظيم هذا الجانب الشرعي في نفوس الناس جميعاً مسلمهم وكافرهم، وذلك من خلال عدد من الآيات كما في سورة البقرة والنساء والإسراء والعنكبوت وغيرها.

٢ــ أن الوصية متضمنة الدعاء للوالدين، كما في دعاء إبراهيم عليه السلام لأبويه ودعاء نوح عليه السلام قبله، قال تعالى : (رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا) [نوح:٢٨]، وقل مثل ذلك في دعاء نوح عليه السلام لوالديه.

٣ــ أن هذه الوصية من الأولويات العامة التي تقوم عليها بنية المجتمعات، فقد جاء ذكرها في الميثاق الذي أخذ على بني إسرائيل قال تعالى: (وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا) [البقرة:٨٣]، وجاء أيضاً في الوصايا العشر التي ختمت بها سورة الأنعام في حق العرب قال تعالى : (قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا) [الأنعام:١٥١].

٤ــ أن الوصية تشير إلى النظر إلى أسوة الخلق أجمعين وهم الأنبياء والمرسلون كعيسى ويحي عليهم السلام، قال تعالى : (وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا) [مريم:٣٢].

٥ــ أن هذه الوصية هي منطلق الشكر والتعبد لله تعالى بعد عبادة الله تعالى، قال تعالى: (وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٣٤٩).

فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ)، فالشكر يكون للخالق أولاً ثم للمتسبب ثانياً.

٦ـ أن الوصية بالوالدين تذكير للعبد بحقيقة الإحسان الذي يجده من والديه قبل الولادة كما في قصة زكريا عند قوله تعالى : (هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ) [آل عمران:٣٨]، وكذلك العناية بعد الولادة ومتابعة مالآته،كما في قصة أم موسى لما خافت عليه من بطش فرعون قال تعالى: (وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) [القصص:١٠]، ولا تتعجب من سورة كاملة تتعرض لمحبة الولد والبكاء عليه مدة طويلة، قال تعالى عن يعقوب عليه السلام لما فقد ابنه يوسف عليه السلام : (وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ) [يوسف:٨٤] ونختمها بتلك الرؤيا الصادقة لإبراهيم عليه السلام لما أمر بذبح ابنه إسماعيل عليه السلامقال تعالى : (فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ) [الصافات:١٠٢].

فلما استجاب لأمر ربه جاء الفرج قال تعالى: (قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١٠٥) إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ) [الصافات:١٠٥-١٠٦].

فعلم من خلال ماتيسر أن لهذه الوصية أبعاداً في سياقات متعددة من الحديث عن البر كعبادة عظيمة، وما يترتب عليها من الدعاء، وما تشتمل عليه من التذكير بنظرة الوالدين إلى هذا الولد قبل الولادة وأثناء الولادة ومابعدهاحتى يبلغ مبلغ الرجال، وما يتعالج في صدر الوالدين من الرحمة والشفقة والبكاء والفرح عليه.

الوصية الثالثة: قوله تعالى: (يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ) [لقمان:١٦].

وهذه الوصية اللقمانية اشملت ألفاظاً من أصول الخفاء والصغر: المثقال والحبة والخردلة، يقول الرازي:" (فتكن) بالفاء لإفادة الاجتماع، يعني إن كانت صغيرة ومع صغرها تكون خفية"(١)، ويقول القاسمي:" في أخفى مكان وأحرزه، كجوف الصخرة أو حيث كانت في العالم العلوي أو السفلي يأت بها الله أي يحضرها"(٢).

وهذه الوصية لها امتداد ومضامين واسعة في جملة من السياقات القرآنية، يمكن إجمالها فيما يلي:

١ــ أن الوصية تتضمن الحديث عن علم الله تعالى الواسع والمحيط بجميع الأشياء، فجميع الآيات التي تتعلق بعلم الله داخلة تحت هذه الوصية، قال تعالى: (وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ) [الأنعام:٥٩].

٢ــ أن الوصية تشتمل على المحاسبة على جميع الأعمال صغيرها وكبيرها جليلها وحقيرها، فكل آية تدعو إلى العمل والمجازاة عليه داخلة في هذه الوصية قال تعالى: (وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ) [الأنبياء:٤٧].

٣ــ الوصية متضمنة لعدل الله تعالى، وأن الله سبحانه يحفظ عمل العبد وهو مطلع على حقيقة عمله، فالآيات التي جاءت في سياق العدل داخلة في هذا الباب، قال تعالى: (يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ) [آل عمران:٣٠].

(١) تفسير الرازي (٢٥/ ١٢٠).
(٢) محاسن التأويل (٨/ ٣٠).

وما يترتب عليها من المضاعفة للأجور في الأعمال قال تعالى: (مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ) [الأنعام:١٦٠].

٤ــ أن الوصية تدل على حقيقة ملك الله التام لجميع مخلوقاته ومن أعظمها السموات والأرض وإحاطته بها فلا يخرج شيء من ملكه، والآيات في هذا الباب كثيرة جداً قال تعالى: (لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ) [الشورى:٤٩].

فعلم أن لهذه الوصية ارتباطاً بعلم الله الواسع ومحاسبته الشاملة وعدله بين خلقه، وحقيقة ملكه وإحاطته، وهذا من الشمولية في تداخل المعاني.

الوصية الرابعة: قوله تعالى: (يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ) [لقمان:١٧].

وهذه الوصية اللقمانية حديث عن عمود الإسلام، وهي الصلاة التي تعرف بها حقيقة الإيمان من النفاق، ويفصل فيها بين الإسلام والكفر، يقول الرازي:" وبهذا يعلم أن الصلاة كانت في سائر الملل غير أن هيئتها اختلفت"(١)، وهذه الوصية لها امتدادها ومضامينها من خلال جملة من السياقات القرآنية، منها:

١ــ أن الوصية تتضمن الآيات التي تدعو إلى الدخول في الإسلام و إظهار معالمه من الصلاة و غيرها قال تعالى: (فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) [التوبة:١١].

٢ــ أن الوصية تتضمن الآيات التي تحث على إقامة الصلاة وملازمة ذلك ودعوة القريب والبعيد إليها، كقوله تعالى: (وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى) [طه:١٣٢] وقل مثل ذلك في دعوة إسماعيل عليه السلام قال تعالى: (وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ

(١) تفسير الرازي (٢٥/ ١٢١)

وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا) [مريم:٥٥]، وقل مثل ذلك في دعوة إبراهيم عليه السلام.

٣ــ أن الوصية تتضمن الآيات على أهمية الصلاة وملازمتها، قال تعالى: (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ) [البقرة:١٥٣]، وهذه الملازمة تكون في جميع الأحوال والأوقات قال تعالى : (فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا) [النساء:١٠٣]، وقال تعالى: (وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ) [المعارج:٣٤].

٤ــ الآيات التي تتحدث عن شروط الصلاة ولبها كالخشوع مثلاً فهو داخل في مضامين هذه الوصية قال تعالى: (قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ) [المؤمنون:١-٢]، وكذلك الحديث عن ركنية الركوع والسجود قال تعالى (أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) [الحج:٧٧]، يقول السعدي:" يأمر تعالى عباده المؤمنين بالصلاة، وخص منها الركوع والسجود، لفضلهما وركنيتهما، وعبادته التي هي قرة العيون، وسلوة القلب المحزون"(١)

٥ــ قصص الأنبياء التي تتعرض أثناء أحداثها للحديث عن الصلاة والاجتهاد في إقامتها داخلة في هذه الوصية، انظر مثلاً إلى قصة موسى عليه السلام وقومه مع فرعون وما حصل لهم من الفزع والرعب ومع ذلك يأتي الحديث عن الصلاة، قال تعالى : (وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّآَ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ) [يونس:٨٧].

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص: ٥٤٦).

٦ــ التخلف عن الصلاة والبعد عن القيام بها داخل في هذه الوصية قال تعالى: (فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا) [مريم:٥٩].

٧ــ أن هذه الوصية متضمنة للآيات التي هي شرط لصحة الصلاة كالوضوء مثلاً في قوله تعالى: (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ) الآية [المائدة:٦]، وكذلك دخول وقتها كما في قوله تعالى : (فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا) [النساء:١٠٣]، وقل مثل ذلك في الآيات التي جاءت بأوقات الصلوات وتحديد مواقيتها، قال تعالى: (وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ) [هود:١١٤].

فالوصية بالصلاة أخذت مسارات متعددة من بيان أهميتها ومكانتها والإحاطة بأركانها وواجباتها وشروطها وكونها صفة بارزة لأهل الإيمان.

الوصية الخامسة: قوله تعالى: (وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ) [لقمان:١٧]، وهذه الوصية اللقمانية جمعت بين أمرين شريفين وهما فتح لباب الخير والطاعة، وإغلاق لمسالك الشر والفتنة، ولاشك أن إعمال هذه الوصية هي خير للعبد قبل غيره، يقول ابن عطيه:"وهذا إنما يريد به بعد أن يمتثل هو في نفسه ويزدجر عن المنكر"(١).

وجاءت الوصية بأشرف مقومات حفظ المجتمعات وسبب خيرية الأمة المحمدية على وجه الخصوص ومن قبلهم من الأمم على وجه العموم، وهذه الوصية تضمنت عدداً من الموضوعات القرآنية المرتبطة بمثل هذه الوصية، منها:

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٣٥١).

١ــ بيان شرف هذه الأمة المحمدية بهذه الوصية قال تعالى: (وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) [آل عمران:١٠٤].

٢ــ بيان أن هذه الوصية من أعظم صفات عباد الله المتقين، قال تعالى: (وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) [التوبة:٧١]، وقل مثل ذلك في قوله تعالى: (التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ) [التوبة:١١٢].

٣ــ الآيات التي جاءت بالتحذير من ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر داخلة في ستار هذه الوصية، كما في حديث القرآن عن بني إسرائيل وتركهم لمثل هذا الأمر العظيم قال تعالى: (كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ) [المائدة:٧٩].

٤ــ الآيات التي تتحدث عن بعض المواقف التي بينت الخلل في تطبيق هذه الشعيرة العظيمة كما في قصة أصحاب السبت داخلة في تقرير هذه الوصية، قال تعالى : (وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ) [الأعراف:١٦٣]، وقوله :(وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ) [الأعراف: ١٦٤].

٥ــ الآيات التي تذم أولئك الأقوام الذي ساهموا في قتل الأنبياء وأهل الصلاح ممن يقوم بهذه الشعيرة على أكمل وجه داخلة في أبعاد هذه الوصية كما في قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) [آل عمران:٢١].

٦ــ النماذج التي تكلم القرآن عنها من الناصحين الأوفياء الذي دعوا قومهم إلى أعظم أمر وهو التوحيد، وكيف تحدث القرآن عنهم بعد وفاتهم، كما في قصة حبيب النجار قال تعالى: (وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ) [يس:٢٠]، فبعد دعوته ومقتله قال هذه الدعوة، قال تعالى: (قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ) [يس: ٢٦:٢٧]، فخلاصة القول أن لهذه الوصية مسارات وأبعاداً من خلال حديث القرآن عن عبادة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومن خلال الصور التي تعرض لها القرآن لبيان حجم هذه الوصية في المجتمعات الإسلامية وغيرها.

الوصية السادسة: قوله تعالى: (وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ) [لقمان:١٨].

وهذه الوصية من أهم أسس الأخلاق في التعامل مع الناس [١]، وطريقة التواصل معهم، يقول ابن عاشور :" وموقع قوله (في الأرض) بعد (لا تمش)مع أن المشي لا يكون إلا في الأرض هو الإيماء، إلى أن المشي في مكان يمشي فيه الناس كلهم قويهم وضعيفهم، ففي ذلك موعظة للماشي مرحاً أنه مساوٍ لسائر الناس"[٢]

فكان لهذه الوصية صبغة عامة لمجموعة من السياقات القرآنية، نذكر منها:

(١) يقول العزالي:" وههنا آفة عظيمة ينبغي أن يتوقاها فإنها مهلكة وهي أن العالم يرى عند التعريف عز نفسه بالعلم وذل غيره بالجهل فربما يقصد بالتعريف الإدلال وإظهار التمييز بشرف العلم وإذلال صاحبه بالنسبة إلى خسة الجهل، فإن كان الباعث هذا فهذا المنكر أقبح في نفسه من المنكر الذي يعترض عليه، ومثال هذا المحتسب مثال من يخلص غيره من النار بإحراق نفسه وهو غاية في الجهل، وهذه مذلة عظيمة وغائلة هائلة وغرور للشيطان يتدلى بحبله كل إنسان إلا من عرفه الله عيوب نفسه وفتح بصيرته بنور هدايته". انظر: إحياء علوم الدين (٢/ ٣٣٠).

(٢) التحرير والتنوير (٢١/ ١٦٧).

١ــ أن هذه الوصية تحكي واقع تلك الأمم التي كابرت في قبول الحق وأعرضت عن الحق، ورأوا من أنفسهم أنهم أحق بتلك الدعوة من غيرهم من الأنبياء، انظر مثلاً في قصة نوح مع قومه، وكيف كانت مخاطبتهم لنبيهم، قال تعالى: (فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ) [هود:٢٧]. فالآيات في قصص الأنبياء تشير إلى مثل هذا الباب.

٢ــ الوصية تتعرض لأعظم أسباب التنكب عن طريق الحق وهو الاستكبار والعناد كما في قصة إبليس المرجوم والتي تعرض الله ﷻ لذكرها في عدد من مواضع القرآن كما في سورة البقرة والأعراف وص وطه.

٣ــ القرآن يعرض بعض النماذج التي أصابها الكبر والخيلاء سواء في مجال الملك كحال فرعون الذي قال (فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى) [النازعات:٢٤-٢٥]، أو في حال طغيان المال كحال قارون قال تعالى: (إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ) [القصص:٧٦]، (فبغى) أي جاوز الحد في التجبر والتكبر، وطلب التفضل (عليهم) وأن يكونوا تحت أمره وحسد موسى على رسالته، وهارون على إمامته، وكفر بالله بعد ما آمن بهما، بسبب كثرة ماله"(١).

٤ــ أن فاصلة الوصية جاءت في ثلاث سياقات قرآنية، **أولها:** في آية الحقوق العشرة وهي قوله تعالى: (وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن (١٠/ ١٤٧).

لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا) [النساء:٣٦]، وهذه الآية من أشمل الآيات التي جاءت في بيان العلاقات مع جميع أطياف المجتمع، ولذا فإن صفة الاختيال الذي هو إعجاب المرء بنفسه، والخيلاء وهو احتقار الناس والتكبر عليهم من أعظم أسباب قطع العلاقات مع الناس.

وثانيها: قوله تعالى: (لِكَيْ لَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ) [الحديد:٢٣]، أي: متكبر فظ غليظ، معجب بنفسه، فخور بنعم الله، ينسبها إلى نفسه، وتطغيه وتلهيه[١]، **وثالثها:** هي وصية لقمان الحكيم .

٥ـ حديث القرآن عن خلق التواضع ومساحته الواسعة في أخلاق الأنبياء كما في قوله تعالى: (لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ) [الحِجر:٨٨].

وكذلك في حق عباده وأولياءه الصالحين: (لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ) [المائدة:٨٢]، (وأنهم لا يستكبرون) بل هم متواضعون بخلاف اليهود فإنهم على ضد ذلك[٢].

فعلم من خلال ما تيسر أن لهذه الوصية أبعاداً في سياقات متعددة سواء كونها مصدر إعراض عن قبول الحق من الرب سبحانه أو من الناس، وكذلك سبباً لقطع وشائج التواصل مع شرائح المجتمع بكل طباقاته، ودعوة مبطنة للتواضع وحفظ الجانب أثناء التعامل مع البشر، وأن هذه هي حقيقة أخلاق المؤمن الذي يطلب السلامة لنفسه في الدنيا والآخرة.

---

(١) *تيسير الكريم الرحمن (ص: ٨٤٢).*

(٢) *فتح البيان في مقاصد القرآن (٤/ ٣٥).*

الوصية السابعة: قوله تعالى: (وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ) [لقمان:١٩].

وهذه الوصية اللقمانية جاءت لترسم حركة الجسد أثناء السير في الأرض ونبرة الصوت أثناء الحديث والكلام، وهذا يشعر المتأمل بأثر هذه الوصية التي تعتني بالمظهر مما يعكس ذلك على المخبر، وهذه الوصية هي بوابة واسعة لجملة من السياقات القرآنية، يمكن إجمال بعضها فيما يلي:

١ــ القرآن يتحدث عن صفات عباده المتقين، ويشير إلى أحد صفاتهم في مثل قوله تعالى: (وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا) [الفرقان:٦٣].يقول الرازي :" لما قال: (وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا)، وعدم ذلك قد يكون بضده وهو الذي يخالف غاية الاختلاف، وهو مشي المتماوت الذي يرى من نفسه الضعف تزهداً فقال: (وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ) أي كن وسطاً بين الطرفين المذمومين"(١).

٢ــ الحديث الضمني عن نعمة المشي والتي تعرض القرآن للحديث عن أنواعها في جميع المخلوقات، وجعلها من طرق التصنيف لمخلوقاته قال تعالى: (وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) [النور:٤٥]، فالحديث عن نعمة المشي هو من جملة النعم التي تحتاج من العبد إلى شكر المنعم، والمشي هو مؤشر الحركة والانتقال في الحياة بين مكان وآخر والانتقال من بيئة إلى آخرى.

٣ــ القرآن عندما يتحدث عن أخلاق الأنبياء يشير إلى مسألة المشي في الأسواق قال تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ

(١) تفسير الرازي (٢٥/ ١٢٢).

الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا) [الفرقان:٢٠]، وهذه الوصية هي تصوير لمشي الأنبياء في الأرض ، يقول الرزاي:" بين الله تعالى أن هذه عادة مستمرة من الله في كل رسله فلا وجه لهذا الطعن" (١).

٤ــ أن هذه الوصية متضمنة الدلالة على النهي عن رفع الصوت مطلقاً وشدة ذلك في مقام الحضور النبوي أشد وأغلظ قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ)[الحُجُرات:٢]، يقول الشوكاني:" يحتمل أن المراد حقيقة رفع الصوت؛ لأن ذلك يدل على قلة الاحتشام وترك الاحترام؛ لأن خفض الصوت وعدم رفعه من لوازم التعظيم والتوقير، ويحتمل أن يكون المراد المنع من كثرة الكلام ومزيد اللغط،والأول أولى"(٢).

فعلم أن المشي وسيلة المخالطة والتواصل البشري الذي يتطلب مراعاة حال المارة والتعايش معهم بحسب الحال التي يفرضها واقع المجتمع، وكذلك مراعاة المخاطبين حال الخطاب من عدم رفع الصوت الذي يسبب نفرة النفوس وتوتر العلاقات البشرية.

(١) تفسير الرازي (٢٤/ ٤٤٥).
(٢) فتح القدير (٥/ ٦٩)

أهم النتائج:

يمكن إجمال أبرز نتائج البحث في النقاط التالية:

١- العناية الربانية بتلك الحكم التي شملت عدداً من الأمـــور والخصـــائص منها : الشمولية والثبات والتعددية في العلاقا والحكمة والعمق .

٢-أن الموضوعات القرآنية بينها تداخل في كثير من الزوايا والمنعطفـــات المشتركة، والتي تدعو أهل النظر والـــتأمل إلى السعي الحثيـــث فـــي تقصي تلك التداخلات ورؤيتها بالمنهج السليم.

٣-إبراز أهم الملامح العامة في وصايا لقمان وهذا ليس على سبيل الحصر إنما على سبيل التقريب .

٤-أن التتبع للسياقات القرآنية يكشف عن أوجه الاشتراك والتداخل الكبيـــر بين الموضوعات القرآنية.

٥-أن هذه الوصايا مدرسة متكاملة من التوجيهات الربانية والتي تعالج حياة المسلم في جميع تصرفاته.

٦-أن هذه الوصايا جاءت في سورة مكية لبيان أصالة الدعوة الإسلامية إلى تعزيز القيم و المبادئ الصحيحة.

٧-عناية القرآن بمثل هذه الوصايا والتي فيها دعوة مبطنـــة لتتبـــع الحكـــم والحكمة من أساطين العلم والمعرفة وعلى رأسهم الأنبياء والمرسلين.

المصادر والمراجع

١ــ إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ)، دار المعرفة – بيروت، د.ت.

٢ــ الأمثال، أبو عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي البغدادي (المتوفى: ٢٢٤هـ)، تحقيق: الدكتور عبد المجيد قطامش، دار المأمون للتراث، الطبعة الأولى، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م.

٣ــ تاج العروس من جواهر القاموس، المؤلف: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، د.ت.

٤ــ التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم- جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية- الطبعة: الثانية، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م، وطبعة الدار التونسية للنشر – تونس، ١٩٨٤ ه.

٥ــ تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رشيد رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (المتوفى: ١٣٥٤هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠ م.

٦ــ تفسير القرآن العظيم (ابن كثير)، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت، الطبعة الأولى - ١٤١٩ هـ.

٧ــ تفسير مفاتيح الغيب، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة - ١٤٢٠ هـ.

٨ــ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م.
٩ــ جامع البيان في تأويل القرآن (تفسير ابن جرير الطبري)، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.
١٠ــ الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م.
١١ــ الدر المنثور في التفسير بالمأثور، جلال الدين السيوطي، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مركز هجر للبحوث، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٤ هـ، ٢٠٠٣ م.
١٢ــ درء تعارض العقل والنقل أو موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول، تقي الدين أحمد بن عبد السلام بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية، تحقيق: عبد اللطيف عبد الرحمن،دار الكتب العلمية - بيروت- ١٤١٧ هـ- ١٩٩٧م.
١٣ــ ربيع الأبرار ونصوص الأخيار، جار الله الزمخشري توفي ٥٨٣ هـ، مؤسسة الأعلمي، بيروت الطبعة الأولى، ١٤١٢ هـ.
١٤ــ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ)، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ.
١٥ــ شرح العقيدة الطحاوية، صدر الدين محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد ابن أبي العز الحنفي، الأذرعي الصالحي الدمشقي -تحقيق: جماعة من العلماء، تخريج: ناصر الدين الألباني، د.ت.

١٦ــ صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.
١٧ــ العقد الفريد، أبو عمر، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه ابن حبيب ابن حدير بن سالم المعروف بابن عبد ربه الأندلسي، دار الكتب العلمية – بيروت، د.ت.
١٨ــ عماد البلاغة، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري –تحقيق: د. جميل عبد الله عويضة– ١٤٣٠ هـ / ٢٠٠٩ م.
١٩ــ فتحُ البيان في مقاصد القرآن، المؤلف: أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (المتوفى: ١٣٠٧هـ)، عني بطبعهِ وقدّم له وراجعه: خادم العلم عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا – بَيروت، ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢ م.
٢٠ــ فتح القدير، المؤلف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت، الطبعة الأولى – ١٤١٤ هـ.
٢١ــ الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الثالثة – ١٤٠٧ هـ.
٢٢ــ مجموع الفتاوى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية– ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.
٢٣ــ محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلميه – بيروت، الطبعة الأولى – ١٤١٨ هـ.

٢٤ــ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى – ١٤٢٢ هـ.
٢٥ــ المحكم والمحيط الأعظم ، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي – تحقيق: عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية – بيروت–الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠ م.
٢٦ــ مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية– تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي – بيروت–الطبعة الثالثة، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦م.
٢٧ــ المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، د.ت.
٢٨ــ معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.
٢٩ــ المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: ٥٠٢هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق بيروت، الطبعة الأولى – ١٤١٢ هـ.
٣٠ــ منهج القرآن في محاربة الشرك، د. إبراهيم الحميضي، دار المعرفة، بيروت، دار التدمرية الطبعة الأولى ١٤٣٩ه، ومؤسسة الأعلمي، بيروت–الطبعة الأولى، ١٤١٢ هـ، ومؤسسة الرسالة–الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ –٢٠٠٣م.
٣١ــ وصايا القرآن الكريم ومضامينها وأهدافها، صورية العيادي، جامعة الحاج لخضر –الجزائر، ١٤٢٩هـ.